

الحياة الجامعية فترة دقيقة من حياة الشباب تحدد مستقبله

مرحلة التعليم العالي بوابة الحياة المهنية والاجتماعية للطلاب



حاملون بمستقبل مزهر

عليه تحمل جزء من مسؤولية نفسه وسلامته عبر تقدير المخاطر المحيطة به وتجنّبها. ولتحصين نفسه من هذه المخاطر يجب أن يختار مجموعة من العلاقات الاجتماعية متكونة من الطلاب الذين يفوقونه سناً وتجربة واجتهادا وانضباطا حيث تتوفر لهم الإحاطة والنصيحة والمثل الأعلى. كما يؤكد الباحث في علم الاجتماع أن على الطلبة الانخراط في الأنشطة الثقافية والاجتماعية في الفضاء الجامعي وخارجه ليتسنى لهم تكوين نواتهم واستثمار طاقاتهم ووقتهم واكتشاف الحياة بشكل مجد ومفيد ومنمّر.

مناخ من الحرية وعدم الرقابة التي لم تتعودن عليها سابقا مما يفتح أمامهن باب خوض بعض التجارب الخطيرة أو التورط في بعض السلوكيات أو الممارسات دون علم أو دراية كان تقعن ضحية إحدى الشبكات الإجرامية أو الإرهابية الخطيرة. وبالتالي فإن مسؤولية الأولياء اليوم تبدو مضاعفة في ظل تعدد المخاطر التي تحقّق بفتة الشباب عامة وبالطلّابات خصوصا.

أكثر الفضاءات التي يرتفع فيها منسوب السلوكيات المحفوفة بالمخاطر حيث تنتشط شبكات الجريمة المنظمة والدعارة والتجنيد في الشبكات الإرهابية... ويشير بالحاج محمد إلى أهمية المسؤولية العائلية، إذ أن طيفا كبيرا من الأولياء يعتقدون أن مسؤولياتهم تنتهي بمجرد ترسيم ابنائهم في الجامعة والميبت غير مدركين أن المسؤولية الحقيقية تبدأ بعد ذلك. فالشريحة الطالّبية وخاصة الطالّبات الجديّات شريحة هشة نفسيا وثقافيا وماديا وبالتالي فإنهن عرضة لشكّتي أنواع والمغريات والتضليل خصوصا مع توفر

يتعلق بالمؤسسات ومنها ما يتعلق بالأولياء ومنها ما يتعلق بالطلّابة ذاتها. وتمثّل مسؤولية وزارة وهيئات الإشراف في أن يكون الفضاء الجامعي وملاحقه فضاء آمنا ومضيفا تتوفر فيه شروط المرافقة والمراقبة والإحاطة والتأطير وخاصة للطلّابات الجديّات اللاتي تنقصهن المعرفة والخبرة لمواجهة هذه التجربة الجديدة. ويتابع بالحاج "هذه المرافقة والمراقبة يجب توفرهما في جميع الفضاءات التي ترتادها الطالّبات انطلاقا من قاعة الدرس والمكتبة وصولا إلى المطعم وخاصة الميبت الجامعي الذي يمثل

ينشغل الشباب الناجحون في الثانوية العامة بالتفكير في التجربة الجديدة التي هم مقبلون عليها في حياتهم، يحلم بعضهم بالنجاح والتخرج في اختصاص طالما رغب فيه وآخرون يفكرون في إيجاد حلول للاختصاص التعليمي الذي يفرضه عليهم التوجيه الجامعي، فيما تهمل فئة أخرى كل ما يهم التعليم وترتكز على الحياة الاجتماعية الجديدة والابتعاد عن بيت الأسرة وما يعنيه من تحرر وتحمل للمسؤولية الفردية.

كيلومترات ومن فرد ينتظر على المائدة مع إخوته أن تأتي لهم الأم بالطعام إلى شاب أو فتاة مستقلة مطالّبة بالاعتماد الكلي على نفسها في توفير جميع مستلزماتنا.

وتحدد في أغلب الحالات طريقة البدء في هذه المرحلة نسبة من نجاح الطالب من عدمه، وكذلك الانتظارات من التعليم الجامعي بحسب الطالب وبحسب عائلته ومحيطه التعليمي والاجتماعي، لكن بعض الطلاب لكثرة رغبتهم في المغامرة وفي التمتع بجانب من الحرية الشخصية يجدون أنفسهم في مواجهة مخاطر متعددة قد يعجزون عن التصدي لها وتنتهي تجربتهم الجامعية بالفشل ما يؤثر حتما على مسار حياتهم كاملة. ويرى الباحث المختص في علم الاجتماع طارق بالحاج محمد، أن الجامعة تعد بوابة الدخول إلى الحياة الاجتماعية والمهنية لهذا يكتسي خوض هذه التجربة خطورة وصعوبة مستمدة من صعوبة الحياة نفسها. فهي تجربة بقدر ما هي مفيدة وأساسية في تكوين الشخصية بقدر ما هي محفوفة بالمخاطر ومحاطة بالصعوبات ولهذا فالنجاح في خوضها هو مقدمة للنجاح في الحياة والعكس صحيح.

ويوضح بالحاج محمد في حديث لـ"العرب" أن الجامعة ليست فقط فرصة للارتقاء في سلم المعرفة بل أيضا للتدرب على صعوبات الحياة وإكراهاتها والتزاماتها ومسؤولياتها. وهي الخطوة الأولى لتدريب الاعتماد على النفس واختيار أي السبل نسلك في الحياة.

وتعتبر الطالّبات من أكثر الشرائح تعرضا للمشكلات عند خوض تجاربهن في الحياة الجامعية باعتبارهن الأكثر استهدافا سواء من أصحاب الميولات الإجرامية الفردية أو المنظمة وحتى من الشبكات الإرهابية، وعلى حد تعبير المختص الاجتماعي، لكي تجتاز الطالّبة هذه المرحلة بنجاح وسلام يجب أن تتوفر مجموعة من الشروط منها ما



سامح بن عبادة
صحافية تونسية

تونس - في بداية العام الجامعي الجديد تعيش الأسر وأبنائها فترة التحضير والاستعداد لمرحلة التعليم العالي التي سيتحدد وفقها مستقبل الطالب التعليمي والمهني وكذلك الاجتماعي. العديد من الطلبة والطلّابات يبدؤون تجربة الحياة الجامعية فيصفونها بداية بالسيسة سواء بسبب التوجيه الجامعي أو خوفا من الابتعاد عن والديهم والإخوة أو بسبب السكن الجامعي الذي لم يعجبهم موقعه وظروف الإقامة فيه أو بسبب رفضهم الخروج من بيت العائلة. وعلى النقيض يفرح غيرهم ويقبلون على التجربة بكل معطياتها بتقاؤل وبدون خوف ويفرحون لمجرد التفكير في أنهم في مرحلة تنويع سنوات التعلم وفي مرحلة الاستقلالية في كل شيء.

الطلّابات الجديّات شريحة هشة نفسيا وثقافيا وماديا وبالتالي فإنهن عرضة لشكّتي أنواع المغريات والتضليل خصوصا مع توفر مناخ من الحرية وعدم الرقابة التي لم تتعودن عليها سابقا

تتفاوت المخاوف من التجربة الجديدة مثلما تختلف مشاعر كل طالب جديد نحو المرحلة الانتقالية من تلميذ إلى طالب ومن المعهد إلى الجامعة ومن بيت العائلة، في أغلب الحالات، إلى السكن الجامعي ومن مرحلة التعلم فقط إلى مرحلة التعلم والتربص والتدريب وربما من مدينة إلى أخرى تبعد عنه

نجاح تجربة الطالب رهين التكفل بالتحولات الشخصية والاجتماعية

وبلغت إلى أن الانتقال من الثانوية إلى الجامعة يرافقه انتقال نفسي واجتماعي للطلاب، حيث يصبح أكثر استقلالية ويشعر في تكريس المعرض لمعوقات المحيط والنقائص المحيطة بالقطاع، بداية من الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية إلى التوجيه، مروراً بالاندماج التعليمي، فضلا عن ضغوط بعض الأسر التي تمارسها على أبنائها كونها ترى فيهم مشروعا مستقبليا للعائلة، والذي يصطدم في بعض الأحيان مع رغبة الطالب ويتحول إلى أزمة في مطلع المشوار.

هناك عوامل دراسية وقيمية في المجتمع تفرض نفسها في بداية مشوار الطالب، بسبب القطعية الآلية بين التعليم المجاني والتعليم الجامعي

ويذهب المختص في شؤون التربية إلى أن هناك عوامل دراسية وقيمية في المجتمع تفرض نفسها على بداية مشوار الطالب الجامعي، بسبب القطعية الآلية بين المرحلة بين التعليم المجاني والتعليم الجامعي، حيث تفتقد إلى جسور تواصل بين المرحلتين أو مرحلة تهيئية لما بعد البكالوريا، فضلا عن اختلال المنظومة القيمية للمجتمع، حيث تقترن الشهادة الجامعية بنهاية مسار دراسي وليس نهاية مرحلة تعليمية لا غير، أي أن الشهادة صارت إثبات مستوى وليس إثبات كفاءة.

البعد وطبيعة الأسرة تكون المرونة أو الصعوبة، خاصة بالنسبة للفتيات. وبناء على تجربته الشخصية، فإن التحاق ابنه كان سلسا ودون معوقات، أما بالنسبة للبنات فكان الأمر أكثر صعوبة، بسبب بعد الجامعة التي وجهت إليها عن مقر السكن، حيث تحول سفرها بين البيت والجامعة إلى مصدر إزعاج وسبب في زيادة نفقاتها، فيضطر إلى توفير مبلغ إضافي لتأجير سيارة خاصة لها لتفادي مشكلات النقل.

وكان تحقيق تلفزي مفبرك أعدته إحدى القنوات الخاصة في الجزائر، قد أحدث صدمة قوية لدى الكثير من الأولياء، بعدما قدم بعض النماذج الشاذة، كصورة عامة عن الحياة الجامعية، وعرض الأحياء الجامعية كوكر للانحلال والزيلة، ليغذي بذلك الصعوبات الاجتماعية التي تحول دون اندماج الطالّبة الجديدة في الجامعة. ويؤكد المختص في شؤون التربية وأستاذ البيداغوجيا في المدرسة العليا للأساتذة رابح الأصقع أن "مسألة التنسيق بين مختلف أطوار التعليم والجامعة كانت محل اهتمام العديد من علماء الاجتماع والتربية والتعليم، قياسا بما تمثله مرحلة التعليم العالي من توجيّه لمسار كامل من الدراسة وتهيئة الجيل الجديد للاضطلاع بالمسؤوليات المستقبلية".

ويرى المتحدث في تصريح لـ"العرب" أن الانتقال من التعليم الثانوي إلى الجامعي يمثل مرحلة مفصلية في المسار الدراسي، نظرا للتحولات التي تطرأ في حياة الطالب، وتدخل نتائج المرحلة التعليمية، كفاعل قوي في محيطه الاجتماعي، حيث يبدأ التحضير لها منذ إعلان النجاح في البكالوريا.

ما يكشف خلا واضحا في آليات توجيه وزارة التعليم العالي. واضطر الطالب للقيام بإجراء الطعن الذي أحاله إلى جامعة تبعد عن مقر سكنه بـ400 كلم، واضطر مرة أخرى للتنقل عن تخصصه الجديد، وعاد إلى الجامعة القريبة منه وثبت تسجيله في تخصص لم يكن في أجدنته إطلاقا. ويكون الأمر أكثر تعقيدا لدى الفتيات، لإسما المنحدرات من المناطق المحافظة والداخلية، فالصور والمفاهيم المسوقة في بعض الأوساط عن الحياة الجامعية والطلّابية بالذات، تشكل أول تحدّ لهن، لأن الطالّبة تضطر أحيانا إلى إقناع أسرتهن بضرورة مواصلة دراستها، ويكسر صور سلبية رسمت عن الجامعة، قبل أن تفكر في بداية مشوارها.

ويكون سبب توجس العائلة من التجربة الجامعية الخوف من أن يحرف البحث عن مستقبل الطالّبة ومسارها العلمي والمهني، إلى مسائل الشرف والأخلاق وسمعة العائلة، وكان المرحلة الجديدة هي سقوط الي في الرذيلة أو الانحراف، وإذ ذهب البعض ضحية تشدد أوليائهن، فإن وصايا الشرف والسمعة باتت تسبق نصائح المساعدة على الاندماج في المجتمع الجديد.

وصرحت طالبة رفضت ذكر اسمها لـ"العرب" بأنها "رغم اليتيم والظروف الاجتماعية الصعبة لعائلتها، إلا أنها بقيت متمسكة بشخصيتها المحافظة، وأكملت دراستها في إحدى جامعات العاصمة، المعروفة بهيمنة تيار فكري حدائي، واستطاعت كسب احترام زملائها لأنها كانت تحترم أفكارهم وقناعاتهم". ويرى أحد الأولياء أن البيئية الاجتماعية للطلاب الجامعي تكون عاملا أساسيا في اندماجهم، فبقدر

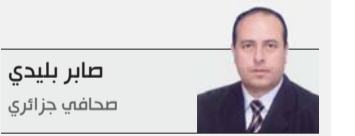
وسرعان ما تغتال فرحة التتويج بشهادة البكالوريا مبكرا. واضطر الطالب الجديد عبد الغني لطرش إلى التنازل عن معدله الممتاز الذي يؤهله للتسجيل في أحسن جامعات الجزائر، وسجل في جامعة تقرب من مقر سكنه لأن العائلة لا تملك الإمكانات المادية اللازمة لمصاريف السكن، والتي تسمح له بمزاولة دراسته في جامعة قسنطينة التي تبعد عن سكنه 400 كلم. ويقول لطرش "أحالي برنامج كمبيوتر التوجيه إلى صنف (خارج الاختيار)، رغم أن المعدل ممتاز"، وهو



دخول الطالّبات للجامعة أصعب

استعدادهما لمساعدته برصيد العائلة، قبل أن يذعنا للأمر الواقع ولمستقبل غامض يلف ابنهما في ظل أزمة التعليم الجامعي وشبح البطالة الذي يهدد المتخرجين في الجزائر سنويا".

وأمام غياب البيات التوجيه الدقيق واختلال التكفل البيداغوجي بالمرحلة الانتقالية في حياة عشرات الآلاف من الناجحين الجدد، يبقى مصير هؤلاء مربوطا بفرض التوفيق المرتبطة ببرنامج كمبيوتر التوجيه والوساطات وإمكانات العائلة، في حين يكون آخرون ضحايا صدمة ترهن مستقبلهم الدراسي،



هايب بليدي
صحافي جزائري

الجزائر - يستيقف الكثير من الطلبة الجدد من نشوة التتويج بشهادة البكالوريا، على صدمة ولوج عالم الجامعة بتعبئاته ومفاجاته التي حطمت آمال وطموحات العديد منهم، لإسما الذين لا يستندون إلى تجارب الأقران والأصدقاء، أو الذين يفقدون للتوجيه الجيد والتحضير النفسي والذهني لمواجهة المرحلة الجديدة. كما أحمد جبري (ناجح في شهادة البكالوريا) أن يضيع موسمته الدراسي الجامعي الحالي، بعدما تهور في حلم الدراسة في الخارج، وانساق وراء عالم وردي صنعتها ومضة إشهارية على شبكات التواصل الاجتماعي، وهي تغري متابعيها بتوفير فرص الدراسة في دولة أوكرانيا.

وفي تصريح لـ"العرب"، ذكر أنه "سجل في آخر اللحظات بالجامعة التي وُجّه إليها، وفقد فرصة الحق في الإقامة، وذلك بعدما استفاد من حلم مزيف كان يعصف بمستقبله الدراسي، حيث انضح له أن الوكيل المزوم محتال يستغل اندفاع الناجحين الجدد وطموحاتهم". واستطاع مفرّيون منه أن يقتنعوه بالترث قبل الإقدام على هذه المغامرة، وذلك بتثبيت مقعده في الجامعة الأصلية ببلدته، ثم التفكير في شيء آخر، فضلا عن التدقيق في العروض التي باتت تتهاطل على طلبة الجامعات، من وكلاء لجامعات مغفورة في بعض دول العالم. وتابع أحمد جبري، في سرد تجربته لـ"العرب"، أنه "لما كان هو وحيد العائلة فإن والديه لم يعترضوا على الفكرة، وأبدوا